التّحليل التّداولي للخطاب الأدبي.

–القصة القصيرة أنموذجا–

Pragmatic analysis of literary discourse –the short story as an example-

فتحي بوقفطان

–المركز الجامعي مرسلي عبد الله –تيبازة

البريد الإلكتروني: boukoftane@live.fr [1]

الاستلام: 01- 02-2024 القبول: 07-04-2024

ملخص: تُعتبر التّداولية من آخر النّظريات اللسانية المعاصرة والتي انبثقت من فلسفة اللّغة التحليلية وقد ظهرت لتكمل عجز وقصور النظريات اللسانية السابقة التي اهتمت بدراسة اللغة من حيث الشكل فقط وأهملت المعنى ، وقد توسّع استعمال هذه النظرية من اللسانيات إلى النقد والتحليل الخطاب، ويُعد هذا المقال دراسة تطبيقية تبين أهم خطوات التحليل التداولي وآلياته على الخطاب الأدبي عموما وقصة خصوصا.

ترميز (*jel Z0,Z11,Z12,Z13,A120*)

كلمات مفتاحية: التداولية،تحليل الخطاب، السياق، الخطاب الأدبي، القصة.

Abstract. pragmatic is considered as one of the latest contemporary linguistic theories. It emerged as a response to the limitations of previous linguistic theories that focused solely on the form of language, neglecting its meaning. This theory expanded its application from linguistics to criticism and discourse analysis. This article presents an applied study that demonstrates the important steps and mechanisms of discursive analysis on literary discourse in general, and specifically on the short story.

ترميز (jel Z0,Z11,Z12,Z13,A120)

Keywords: : pragmatic,. Discourse analysis, context , literary discourse, story..

2. تمهيد:

يعدّ الدّرس التّداولي والتأويلي من أحدث ما توصّلت إليه النّظريات والمناهج النّقدية التي تناولت الخطابات المكتوبة والشفوية بربطها بالسّياق الذي قيلت فيه هذه الخطابات بغضّ النّظر عن الباث والمتلقي الّذين حضيا باهتمام بالغ في الدّراسات النقدية السّابقة وانفتاحها على المعاني المتعددة ، كما يعتبر الخطاب القصصي خطابا تواصليا موجّها للقرّاء والمستمعين بمختلف الأماكن والأزمنة بحسب طبيعة تفكيك وقراءة وتأويل كل قارئ منهم ، ويصنّف ضمن الخطابات ذات التأثير الكبير على المتلقيين في سلوكهم وأفعالهم بقصص وعبر تحمل رسائل مختلفة تربوية أو توعوية في ملفوظاتها، بجمعها بين السرد والوصف والتّقرير والوعد والوعيد والنهي والأمر والاستفهام بغية النصح والوعظ والإرشاد ، معتمدا في ذلك على آليات القراءة و استلزامات حوارية المتنوعة ، فالخطاب الرّمزي هو خطاب غير مباشر دوري يعتبر مدونة نقدية غنية بالظواهر التداولية والتأويلية المتنوعة تدفع الباحثين إلى دراستها وتحليل أبعادها وأغراضها التواصلية الصّريحة والمضمرة في ثنايا تطور الأحداث ،فقصة باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين هي عبارة عن مجموعة من الأحداث المتسلسلة تتضمن أفعالا الكلامية متنوعة ،تحمل إشاريات زمانية ومكانية وشخصية المحددة للسياق خاص بكل قصة.

والاشكاليات التي سنعالجها في هذه المداخلة هي التعريف بالمدونة المتمثلة في قصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ثم التطرق إلى لأهم جوانب التأويلية والتداولية وأسسها وأبعادها في هذه القصة ؟وكيف يمكن إسقاطها على الخطاب القصصي لما يحمله من تأثير في السامع والقارئ له؟ ،وما هي خطوات تحليل قصة تحليلا تأويليا ؟

يعدّ الدّرس التّداولي من أحدث ما توصّلت إليه النّظريات اللّسانية والنّقدية التي تناولت الخطابات المكتوبة والشفوية بربطها بالسّياق الذي قيلت فيه هذه الخطابات بغضّ النّظر عن الباث والمتلقي الّذين حضيا باهتمام بالغ في الدّراسات اللّسانية السّابقة ،كما يعتبر الخطاب القصصي خطابا تواصليا موجّها للقرّاء والمستمعين بمختلف الأماكن والأزمنة ، ويصنّف ضمن الخطابات ذات التأثير الكبير على المتلقيين في سلوكهم وأفعالهم بقصص وعبر تحمل رسائل مختلفة تربوية أو توعوية في ملفوظاتها،

بجمعها بين السرد والوصف والتّقرير والوعد والوعيد والنهي والأمر والاستفهام بغية النصح والوعظ والإرشاد ،معتمدا في ذلك على آليات الحجاج و استلزامات حوارية المتنوعة ، فالخطاب الرّمزي هو خطاب غير مباشر دوري يعتبر مدونة لسانية غنية بالظواهر التداولية المتنوعة تدفع الباحثين إلى دراستها وتحليل أبعادها وأغراضها التواصلية الصّريحة والمضمرة في ثنايا تطور الأحداث ،فقصة باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين هي عبارة عن مجموعة من الأحداث المتسلسلة تتضمن أفعالا الكلامية متنوعة ،تحمل إشاريات زمانية ومكانية وشخصية المحددة للسياق خاص بكل قصة.

والاشكاليات التي سنعالجها في هذه المداخلة هي التعريف بالمدونة المتمثلة في قصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ثم التطرق إلى لأهم جوانب التداولية وأسسها وأبعادها في هذه القصة ؟وكيف يمكن إسقاطها على الخطاب القصصي لما يحمله من تأثير في السامع والقارئ له؟ ،وما هي خطوات تحليل قصة تحليلا تداوليا ؟

التحليل التداولي لقصة باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

1.2 التنظيم العام لنص القصة

النّص عبارة عن قصة إبداعية رمزية مأخوذة من كتاب :" كليلة و دمنة"، لابن المقفع ،وقد جاءت بأسلوب طريف ومشوق وجذّاب على لسان الحيوان والطّير، ومن خلال هذا النّص يمكن أن نكتشف بعض القضايا والتي تحتوي إفتراضات مسبقة ترتبط بالإطار السياسي لأنظمة الحكم أنذاك، وما نتج عنه من فساد لبعض الحكام في ذلك العصر، فابن المقفع أراد أن ينتقد تلك السياسة الفاسدة وأن يوجه النّقد والنّصح، كما تجدر الإشارة إلى أن أحداث القصة التي جرت على لسان الحيوان والطير فهي ليست واقعية إنّما هي من نسج الخيال، ويعتبر السارد (بيدبا) الفيلسوف الحكيم خارج حكائي متباين.

بإمكاننا أن نطبق المنهج التداولي والذي يرتكز على نظرية الأفعال الكلامية ،وذلك بتطبيق الآليات التداولية على الخطابات الحيّة ولو جزئيا باهتمامهم بالطرائق التي تعبّر بها اللغة الانسانية عن المعاني ومن أشهر من طوّر الدّرس التّداولي اللّساني نجد: أوستين(ت1960)، سيرل(ت1962) وجرايس (شنان، 2006، الصفحات 12-13)،وهذا التّحليل التّداولي يحتاج إلى متابعة نقدية ودراسة تحليلية

وهو ما اعتمدناه في دراستنا لأهم الأفعال الكلامية في النص والمنجزة عبر الحقول الدّلالية التي تشكل قيمة أدبية بتأثيرها كخطاب دال عبر عملية التّواصل بين: المبدع (الباث) والقارئ (المتلقي.(

وقبل أن نخوض في تحديدنا لأهم الأنماط التي يتشكل منها الفعل الكلامي المنجز ، بوسعنا أن نحدد السّياق العام للنص القصصي ، لأنه لا يمكن أن نحقق هدفنا إلا من خلال تلك الأعمال المنجزة بواسطة الأفعال، والتي بدورها التي تحدد إلا في سياق معين، "والسياق يضطلع بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي ، مثل تحديد قصد المرسل ومرجع المقامات ... ومصطلح السياق من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي الحديث وخصوصا في الدّراسات التّداولية " (الشهري، 2004، صفحة 41،40)

2.2 **الجانب التطبيقى**:

بعد أن شرعنا فى تحديد السياق العام للقصة وقبله أشرنا إلى الإقتضاء ، بإمكاننا أن نحدّد معيارا آخر أساسيا يتمثل في أهم الإشاريات وأنواعها بحيث لا يمكن أن تتم عملية التلفّظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاثة وهي: (الأنا ،الهنا , الآن) ويمثل كل منه نوعا من الإشاريات وهي : الإشاريات الشخصية ، الزمانية، المكانية،الخطابية،الاجتماعية. (نحلة، 2006، صفحة 15...20(

"زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء": في هذا الخطاب السردي تتجلّى لنا إشاريتان هما : إشارية الزمان التي توحي إلى الزمن البعيد الذي يصعب علينا تحديده، وهذا ما نجده في الأحاجي والقصص القديمة التي عادة ما تفتتح بـ : "كان يا مكان في قديم الزمان" ، وكذلك نجد إشارية زمانية أخرى في : "فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فإذا فقست وأدرك فراخها , جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما تنهض فراخها ..." ففي هذا الخطاب نجد إشارة إلى زمن مجيء الثعلب المرتبط بنهوض فراخ الحمامة وكبر جسمها وهو زمن مفتوح ومتكرّر.

أما الإشارية المكانية فيمكن تحديدها من خلال الملفوظ : "في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء فالمكان هنا مصرح به بالأداة "في" والمتكلم هنا يصف لنا بدقة المكان الذي تقع فيه الحمامة فهو في مكان عال وكذلك في قوله:" فيقف بأصل النخلة" وهذه إشارية مكانية أخرى ، تحدد لنا مكان وقوف

(الثعلب) الذي اعتاد أن يقف فيه أثناء تهديده للحمامة ،فالسّارد هنا حدّد لنا الموقع وهو (أصل النخلة) أي: الساحة أو المحيط الدائر بالنخلة، والذي تجري فيه الأحداث، ومن هذا المكان بالضبط تصدر التّفاعلات الحوارية بين المرسل والمرسل إليه فالحمامة فى أعلى النخلة والثعلب بأسفلها ، وبذالك يكون السّارد قد حدّد مرجعية المكان لكلا الطرفين فيكون أكثر دقة ووضوحا للقارئ.

كما نجد إشارية أخرى في قوله : "على شاطئ النهر"، فهذا المرجع المكاني الذي وقع فيه الحدث المهم في القصة ،وهو مكان (انتقام الثعلب من مالك الحزين)وبذلك يكون السارد قد ضبط لنا الموقع بالتسمية وهو الشاطئ.

بعد أن قدمنا الإشاريات والزمانية والمكانية ،نحاول أن نحدّد إشارية أخرى دالة على أهم العناصر المشاركة في الخطاب وهي الإشاريات الشخصية، والتي تحقّقت في الخطاب وهي مصرح بها، وذلك من خلال الذّوات الفاعلة والمُحرّكة لأهم وقائع القصّة وتمثّلت في كلّ من:(الحمامة) الّتي تُعتبر عنصرا أساسيا من العناصر المشتركة في الخطاب التواصلي ،وأساسية هذا العنصر الفعّال تتجلّى في كونها رمزا "للغباء والسذاجة " في هذه القصة ، ومقصديتها هو حماية فراخها من تظلُّم الثّعلب.

أما العنصر الثاني والمُصرّح به كذلك فإنّه ممثل في شخص (مالك الحزين) هذه الذّات الفاعلة التي ترمز في القصص إلى "النصح و مساعدة الغير" أما القصد الذي يرمي إليه في هذه القصة هو: تقديم يد المساعدة للحمامة.

أما الشخصية الثالثة والفاعلة بدورها كذلك فهي ذات (الثّعلب) ،التي تتميّز في القصص والحكايات بالاحتيال والمكر والخداع لبلوغ مقاصدها، ومقصدها في هذه القصة يتمثل في:"أكل فراخ الحمامة و الانتقام من مالك الحزين"

من خلال تحديدنا وبشكل عام : الإشاريات الدالة على المتكلم والمخاطَب , يمكن أن تحدد أهم مراتب المتخاطبين ووضعياتهم المختلفة من خلال بعض الملفوظات السّردية في النص مثل قوله:" فيصيح: بها و يتوعدها أن يرقى إليها فتلقي إليه فراخها" الذي يتبيّن فيه أن الثعلب يمتلك سلطة أعلى من الحمامة ،لأنه بمجرد أن يصيح بها ويتوعّدها تخضع لأوامره وتلقي إليه فراخها كلّما جاء إليها خوفا

من أن يصعد إليها فيأكلها , فالمرسل هنا (الثعلب) لو لم تكن له السلطة التي تمنحه القوة الكافية لما أثّر في المرسل إليه "الحمامة" وامتثلت لأوامره.

أمّا الحمامة ومالك الحزين فهما في مرتبة واحدة ومن جنس واحد (الطيور) كما يعتبران أقل مرتبة من (الثعلب) أنّهما لا يمتلكان السّلطة والحيلة التي يمتلكها الثعلب ،فرغم من امتلاكهما سلطة الطيران التي يفتقدها الثعلب إلا أنّهما لم يستعملاها في الضرورة، فنجدهما قد رضخا لأوامره وتهديداته، وذلك بإلقاء الحمامة فراخها له وبوضع مالك الحزين رأسه تحت جناحيه،وبهذا فإن إبرازنا لمراتب المُخاطبين والسّلطة التي يملكها كل عنصر يساعدنا على فهم المقاصد والأغراض لكل مخاطب في السياق العام ،فالسياق هو الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان وهوية المتكلمين ...الخ ،من أجل فعم وتقويم ما يقال (أرمينكو، 1986، صفحة 09. (

3- الأفعال الكلامية المنجزة:

"زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء، فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فإذا فقست وأدرك فراخها , جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما تنهض فراخها...يقف بأصل النخلة. يصيح بها يتوعّدها. تلقي إليه فراخها"...

إذا كان الفعل الكلامي هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (صحراوي، 2008، صفحة 10) فمن خلال هذا الخطاب السردي الذي يتكون من الجمل الخبرية وأفعال كلامية تتمثل في التقريريات, يمكننا في هذا الإطار أن نحدد ثلاثة أنماط يشملها الفعل الكلامي بتحققاته وهي كالآتي (بلخير، 2003، صفحة 82:(

أ –فعل القول أو (التلفظ) : وهو ما ويتجسد في الملفوظات السردية التي أوردناها آنفا ضمن المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية؛

ب– الفعل المتضمن في القول: وهو (الفعل الإنجازي)الذي يؤذيه فعل القول: التلّفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي, الذي أسهم في فعل وهو: تقديم معلومات وإخبار القارئ بجملة من الأحداث عن طريق السّرد والوصف معا وبهذا تكون القوى المتضمنة في القول هي التقريريات؛

ج/ **الفعل التأثيري** هو ما ينتج كأثار لذلك الفعل المتضمن في القول ، وهو الذي أحدثته هذه الجملة في ذهن السامع (المتلقى) وهو تهيئته وتشويقه المتابعة بقية أحداث القصة؛

وكذلك وقوفه على أهم السياقات المُحددة لمجريات القصة مثل: " في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء " "فيقف بأصل النخلة" حيث توحي هاتان الجملتان ببعد مكان الحمامة عن مكان تواجد الثعلب (أصل النخلة) ومدى استحالة وصول هذا الأخير إليها.

وبذلك يكون قدا تحقق (شرط الملائمة) الذي نادى به "سيرل" والمتمثل: في المحتوى القضوي، فكان لهذا الكلام معنى قضوي وهو وصف وسرد أحداث تؤيد صدق ذلك المحتوى وكذلك نجد (شرط الإخلاص) محققا كون المُؤلف قد أثّر في المتلقي (السامع) لينجز فعل متابعة سرد الأحداث وكون الكاتب مخلص في أداء فعل المعتقد حيث نلمس صدقا خياليا والذي يأتي في مقابل الصدق الواقعي.

"فلما رأى الحمامة كئيبة ،شديدة الهم, قال لها ملك الحزين: يا حمامة. مالي أراك كاسفة اللون سيئة الحال ؟ فقالت له: يا مالك الحزين, إنّ ثعلبا دهيت به , كلما كان لي فراخ جاء يهددني ويصيح في أصل النخلة ،فأفرق منه ،فأطرح إليه فرخي."

ما نلاحظ في هذا الحوار القصير الذي دار بين مالك الحزين كمتكلم والحمامة كمخاطب هو (فعل القول) الذي أصدره مالك الحزين، يندرج ضمن النموذج الحواري الذي ذكرناه سالفا ،حيث أن المتكلم افتتح مجريات الحوار وأسهم في نشوء (فعل متضمن في القول) متمثلا في فعل : الاستفهام، أو السؤال في قوله :"يا حمامة مالي أراك كاسفة اللون سيئة الحال"

ومردَّ هذا الاستفهام هو رؤية (مالك الحزين) للحالة السيئة التي آلت إليها (الحمامة) من كآبة وهم الشديد ،وبذلك يكون قد حقّق (مبدأ التعاون)الذي نادى به جرايس والمبادئ الحوارية التي يتفرع إليها قد تحقّقت في هذه المحاورة القصيرة التي جرت بين المتكلم والمخاطب.

فالحمامة في هذا الحوار حققت(مبدأ الكم) فأجابت إجابة استخدمت فيها القدر المُمكن من الألفاظ دون زيادة أو نقصان ،لأنه كان بإمكانها أن القول: "يا مالك الحزين إن ثعلبا دهيت به ..." وتسكت, لكننا نجدها واصلت حديثها بأن ثعلبا يهدّدها ويصيح عليها فتخاف منه على نفسها فتلقي إليه فراخها. كما أننا نجد الطريقة لتي أجابت بها الحمامة كانت واضحة ومحددة , تجنّبت فيها اللّبس والغموض, وبهذا تكون قد حقّقت مبدءا آخر وهو(مبدأ الطريقة) وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بالسؤال الذي طرحه عليها (مالك الحزين) فكلاهما له علاقة مناسبة بالموضوع, وهذا يسميه "جرايس " بـ"مبدأ المناسبة. "

إجابة (الحمامة)عن استفهام (مالك الحزين) كانت صادقة أيضا لتحقّق بذلك "مبدأ الكيف" باعتبارها تحتل مرتبة متساوية وموازية معه، فإننا نجدها قد راعت "مبدأ التأدب "أيضا وذلك لوضوحها في كلامها وهدفها هو التّواصل المباشر مع الطرف الآخر الذي هو من نفس جنسها ومُستواها، بما يجعل قصدها واضحا، فهي عبّرت ما بداخلها لمالك الحزين ،لأن الوضوح يعتبر في بعض الأحيان ضربا من ضروب التأدّب مع الآخر.

وبهذا نجد في هذه المحاورة القصيرة أن مبدأ التعاون الذي نادى به جرايس قد تحقّق مع المبادئ الحوارية الأخرى في هذا المقطع السردي القصير ،أما القوّة المتضمنة في القول فتمثلت في إجابة الحمامة عن استفهام مالك الحزين ضمن ما يعرف بالتقريريات حيث أخبرته عن سبب حزنها وكآبتها وقصتها مع الثعلب.

بعد أن قدّمنا أهم مبادئ جرايس التأسيسية ،والتي ضمنت نجاح المتكلم في تحقيق فعل الكلام، وهذا ما لمسناه في الحوار القصير،نحاول الآن وفي هذا الإطار أن نركز على مبدأ مهم وضروري وهو "مبدأ الملائمة" الذي نادى به أوستين وطوّره فيما بعد تلميذه سيرل،حيث نجده مُحققا بكل شروطه ،فمن

خلال (فعل القول)وما نتج عنه من قوة إنجازية ومتضمنة فيه ،ونجد شرط المحتوى القضوي قد تحقق لأن المتكلم (الحمامة) عبرت عما يجول بخاطرها وشكت حالها لمالك الحزين بمبررات وشواهد تؤيد صدق ذلك المحتوى أمّا اتجاه المطابقة من قول الحمامة إلى العالم فإنه تمّ بنجاح ،وذلك لتطابقه مع المحتوى القضوي.

ونجد أيضا(شرط الإخلاص) الذي يصطلح عليه جرايس : (قانون الصدق) ويلحّ على أهميته في الخطاب فالمتكلم انطلاقا من إدراكه للواقع يكون صادقا ومخلصا فيما يقول ،وهذا ما نجده محققا قول (الحمامة)،لأنها قالت ما تعتقده دون أن تخل بهذا الشرط . فهي تصوّر لمالك الحزين حالتها بصدق كما هي موجودة في الواقع، وعادة ما يكون في الخطاب إجابة عن استفهام ، وهذا ما لمسناه من استفهام المتكلم الذي كانت له كذلك إرادة قوية في معرفة إجابة السامع (الحمامة) ،وهذا ما ترتب عنه الفعل التأثيري غير المقصود من قبل الحمامة، وهو ما أحدثته بالفعل الإنجازي الذي قامت به، فالأثر نلاحظه من خلال ردة الفعل التي أحدثها (مالك الحزين) بقوله :"إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي له:لا ألقي إليك فرخي ،فارق إلي ، وغرّر بنفسك. فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي طرت عنك ونجوت بنفسي "

فنجد هذا الخطاب قد تضمّن (فعلا ناتجا عن القول) ثانيا لمالك الحزين أو ما يسمى بالفعل التأثيري، فالشكوى التي تقدّمت بها الحمامة من تهديد الثعلب وتسلطه عليها بأكل فراخها أثرت في أحاسيس ومشاعر مالك الحزين ممّا جعله يقترح حلا ويعلمها حيلة تقي بها نفسها وفراخها من شرّ الثعلب.

ففي هذا الخطاب الذي أصبح فيه المخاطب مالك الحزين متكلما والحمامة مخاطبا مستمعا أعطى تأثيرا متبادلا بين الطرفين،فنجد في قول مالك الحزين:"إذا أتاك ليفعل ما تقولين" قد حقّق مبدأ التعاون الذي يساهم في ترقية النشاط الكلامي لدى المتخاطبين واستمراريته ،وذلك بفضل التناوب على الكلام ،ويعتبر جرايس أول من أثرى هذه المسألة من الوجهة التداولية فيما يسمى بالاستلزام الحواري ،ونجد أيضا في هذه العبارة اقتضاء مسبق حيث أن المتكلم أضمر ما صرح به المخاطب آنفا واختصره في

قوليه:" ليفعل ما تقولين..."لأن كلاهما يعلم المضمون القضوي المتمثل في مجيء وتهديد الثعلب ،والذي حذف للاختصار والإيجاز في الكلام.

تضمن (فعل القول) هذا الذي أصدره مالك الحزين (فعلا متضمنا في القول)وهو فعل انجازي تمثل "الأمريات" أو "الطلبيات " في قوله "قولي له ارق إلي وغرّر بنفسك ..." فالغرض أمري ،تم أتبعته بفعل آخر وهو البوحيات في قولها :"فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي طرت عنك ونجوت بنفسي"

أما "الفعل الناتج عن القول" التأثيري نلاحظه من خلال اقتناع المخاطب (الحمامة) وتجاوبها مع الحيلة أو الخطة التي قدمها لها مالك الحزين وبالتالي يكون الفعل التأثيري هنا غرضه الإرشاد والتوجيه.

"فلمّا علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار ،فقع على الشاطئ ،فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف ،فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين ،"...

–السارد في هذا الخطاب يؤدي سيرورة إبلاغية تلخيصية تتمثل في حدث إخباري جديد يختلف عن سابقه وهو: "رحيل مالك الحزين بعد تعليمه الحيلة للحمامة حتى تتصدى بها لمكر الثعلب ،وكذلك قدوم الثعلب إلى المكان المعهود لتهديد الحمامة"

4– مبادئ غرايس:

فنجد في هذا السياق بأن الإفادة الأساسية تمثلت في تنفيذ المخاطب (الحمامة) لإرشادات وتوجيهات مالك الحزين وتصديها للثعلب بامتناعها عن إلقاء فراخها وطلبها منه الصعود إليها من باب التحدي والتعجيز لا الأمر كما يظهر في الشكل اللغوي الظاهر المعزول عن العام ، وبذلك يكون الفعل التأثيري الذي قام به الثعلب على الحمامة قد تحقق وتم بنجاح وذلك بتنفيذها للخطة التي قدمه لها مالك الحزين.

وقد احتوى هذا الخطاب القصير على عدة متضمنات القول التي أضمرها الراوي لتفادي التكرار ويتجلى ذلك في قوله: "هذه الحيلة" يقتضي من القارئ فهم الحيلة بأنها نصيحة مالك الحزين ،وكذلك قوله:"في الوقت الذي عرف..." يقتضي وقت هنا وقت نهوض الفراخ وكبرها لأن الراوي كان قد أشار

إليه مسبقا ،وقوله:" كما كان يفعل " يقضي أيضا تهديد وتوعد الثعلب الذي كان يصدره في أسفل النخلة.

"فقال الثعلب :أخبريني من علمك هذا؟ قالت: مالك الحزين." في هذا الحوار القصير يتّضح لنا أن مبدأ التعاون قد تحقّق من خلال فعل القول الذي أصدره الثعلب والذي يشتمل على مجموعة من الألفاظ ضمن النموذج الحواري السابق ذكره على نحو خطي.

أما "الفعل المتضمن في القول" أو الأثر الناتج جراء فعل القول فهو الإنزعاج بقوله :من علمك هذا ؟ فاستعمال الثعلب لهذا الاستفهام ليس الغرض منه معرفة معلم الحمامة لمعرفته ،وإنما للانتقام منه لما سبب له من انزعاج بتنبيهه للحمامة ،وبالتالي حرمانه من أكل الفراخ ،فتحقيق مبدأ التعاون الحواري بكل شروطه وبنجاح ،ويدخل هذا تقسيم ضمن قسم السلوكيات من أقسام الفعل الكلامي لأوستين (الطبطبائي، الصفحات 10-1) (

وتحقيق هذه المبادئ التي نادى بها "جرايس" تكشف عن مدى سذاجة وغباء الحمامة ، فنجد مثلا(مبدأ الطريقة) محققا في هذا القول فقد كان واضحا ومحددا، بعيدا عن الغموض، حيث أن الحمامة أوجزت في هذا القول فقد كان ردّها وجوابها على سؤال الثعلب بطريقة عفوية وبريئة وهذا ما جعل الثعلب يطرح عليها الأسئلة مباشرة لمعرفته المسبقة بسذاجتها و قلة ذكائها مما ساهم في إنجاح الفعل التاثيري بإجابتها المباشرة والسريعة عن هوية معلمها (مالك الحزين.(

كما أننا نجد مبدأ الكيف محققا كذالك, لأن الحمامة (قالت ما تعتقد في نفسها) وصدقت في قولها ونجده راعت مبدأ المناسبة لأن كلامها له علاقة مباشرة ومناسبة بالموضوع ،بالإضافة إلى ذلك نجدها حققت (مبدأ الكم) ففي حوارها مع الثعلب قد أسهمت بالقدر المطلوب من الكلمات دون أن تضيف أو تنقص من ذلك.

بهذا تكون مبادئ جرايس قد طبقت بحذافيرها وهذا ما يؤكد قلة انتباه و حمق (الحمامة) بعدم فهمها للفعل الغرضي المتضمن في الكلام (الثعلب) وهو ما أدى إلى تطبيق (مبدأ التعاون. (

"فتوجه الثعلب إلى مالك الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفا, فقال له الثعلب : يا مالك الحزين إذا أتتك الريح عن يمينك فاين تجعل رأسك ؟ : عن شمالي..... فأين تجعله ؟ قال:أجعله تحت جناحي".

في هذا الملفوظ السردي الذي تضمن حوارا بين الثعلب كمتكلم ومالك الحزين كمخاطب نجد بأن الثعلب قام" بفعل القول التلفظي المذكور أعلاه . وهو عبارة عن استفهامات طرحها على مالك الحزين بقوله مثلا :"إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك " فالقوة الإنجازية تمثلت في كيفية وضع الرأس في حالة ما إذا كانت الريح من جهة الشمال ،والقوى المتضمنة في هذه الاستفهامات هي (طلبيات) ،لأن الغرض الطلبي غير مباشر فهو غير مصرح به من طرف الثعلب والمتمثل في (وضع الرأس تحت الجناح) ،واتجاه المطابقة في هذا الغرض نجده في العالم إلى القول ،وهو ما حدث بالفعل في نهاية المطاف حيث وضع رأسه تحت جناحه ، وقد استعمل مهمة أساسية من مهام التداولية تتمثل في تفضيل التواصل غير المباشر على التواصل الحرفي المباشر لتحقيق غرض معين وهو التضليل (صحراوي، 2008، صفحة 28)

4- الحجاج:

وبالتالي فإن الطلبيات تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدي ما طلب منه ،فالقوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي هي طلب القيام بوضع الرأس تحت الجناح ،وليس كالاستفهام في كيفية وضعه كما يبدو في ظاهر القول بعزله عن السياق العام للقصة.

أما الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري) فهو ذلك الأثر الذي أحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب (مالك الحزين) ،فالثعلب كمتكلم قام بفعل التأثير على مالك الحزين وهو المراوغة والتضليل والاستدراج.

قال: "وكيف تستطيع لن تجعله تحت جناحك ؟ ما أراه يتهيأ لك، قال: بلى . قال : فآرني كيف تصنع، فلعمري يا معشر الطير لقد فضّلكنّ الله علينا. إنّكنّ تدرين في ساعة واحدة مثل ندري في سنه. وتبلغن ما لا نبلغ. فأدخل رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه."

وبما أنّ التداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم (أحمد محمود نحلة، 2002، صفحة 06)

فإننا نلاحظ أن المتكلم (الثعلب) يوصل في طرحه للأفعال الإنجازية الاستفهامية بصيغة مختلفة لبلوغ مقصده بإنجاز الفعل الغرضي المتمثل في وضع رأس مالك الحزين تحت الجناح . وهو الفعل المتضمن في القول,

"ما أراه يتهيأ لك قال: بلى" في هذا الملفوظ الذي ينفي فيه المتكلم عدم استطاعة المخاطب وضع الرأس تحت الجناح ، يقضي أن (المتكلم) يدرك مسبقا بأن (المخاطب)بإمكانه القيام بهذا الفعل، وذلك بوضع المخاطب في وضعية نفسية تجعله يتأثّر ويتحدّى المتكلم بقدرته على الفعل، ويتضح ذلك بقوله " بلى" فنجده " فعلا ناتجا عن القول " قد تحقق في هذا السياق.

"فلعمري يا معشر الطير لقد فظلكن الله علينا إنكنّ تدرين في ساعة مثل ما ندريه في سنة. وتبلغن ما لا نبلغ"

)المتكلم)بهذا الفعل الكلامي يستعمل أسلوبا آخر في استدراجه(للمخاطب) بالإضافة إلى الأساليب السابقة (الاستفهام والنفي) نجده يجزم قطعا،و بأسلوب آخر وهو القسم بقوله:"ولعمري "وذلك بتفضيل الله معشر الطير (مالك الحزين و غيره...) على باقي الحيوانات ففعل القول (التلفظي)هذا تضمن فعل إنجازيا حقيقيا وهو : مدح مالك الحزين وسائر الطيور مما تولّد عن ذلك فعال ناتجا عن القول (التأثيري) وهو: الإقناع.

فنتج عن ذلك تحقق المقصد العام والأساسي الذي يهدف إليه (الثعلب)،وهو الانتقام من مالك الحزين (وذلك بدق عنقه والوثوب عليه, وتحقق هذا بعد وضع الرأس تحت الجناح.

والملفوظ السردي الدال على ذلك هو قوله :" فأدخل رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه".

"إنكن تدرين هي ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة وتبلغن ما لا نبلغ " وكذلك (مبدأ المناسبة) الذي يعد شرطا ضروريا، وذلك أن الملفوظ الخطابي لابد أن يكون ذا علاقة مناسبة بالموضوع دون زيادة أو

نقصان, ومن ذلك أن يكون الحوار ذا نتائج عملية ملموسة تكون في فائدة كلا المتخاطبين، وهذا ما لمسناه في الخطاب السردي الحواري بين الثعلب ومالك الحزين، فالتفاعل الحواري القائم بينهما كان ملائما لطبيعة الموضوع المتمثل في كيفية وضع الرأس تحت الجناح الذي تحقّق بالفعل لأخير، أما (مبدأ الطريقة) فإن المتخاطبين كانا واضحين في كلامهما وكلاهما كان مُحددا في طريقة كلامه بتجنّب كل ما هو غامض، وأوجزا وإن كان المتكلم (الثعلب) مكثرا فى كلامه غير مقل إلا أنه كان مرتبا وذكيا ومدروسا لبلوغ مقصديته ،مستعملا نوعا ثانيا من الخطاب وهو الخطاب غير المباشر وهو يتولد عن امتصاص خطاب آخر أو أداته بطريقة غير حرفية ،مما يتطلب تحويل أزمنته الفعلية وتعديل ضمائره وإشاراته كي تنسّق في اتجاهاتها وإحالاتها مع توخي الدقة والإيجاز و الاقتطاع وهذا ما يميّزه عن الخطاب المباشر. (بعلي، 2006، الصفحات 67-68)

–هذه هي المبادئ التي حققت التعاون بين المتكلم والمخاطب وأثمرت في الأخير حوارا ناجحا وتداولا حواريا أثمرت فيه قواعد التخاطب إلى حد ما.

قانون الإفادة: إن ما تستنتجه في الحوار الذي جرى بين المتخاطبين أن الخطابات والتفاعلات الحوارية التي كانت بين المتكلم والمخاطب قد حققت قانون الإفادة ، ويوقف هذا القانون على مدى استفادة المستمع من كلام المتكلم (بلخير، 2003، الصفحات 101-102) ، كون الكلام الموجه من المتكلم (الثعلب) إلى المخاطب(مالك الحزين) كان مفيدا وثريا لأنه أثمر نتائج ملموسة وعملية ،وذلك بتحقيق الثعلب ما يصبو إليه، فأنتج خطابه من أجل تحقيق هدفه والسيطرة على ذهن المخاطب (مالك الحزين) ومع (الحمامة) أيضا ليغير العالم من خلال الخطاب فالإفادة الناتجة من تهديد ووعيد (الثعلب) للحمامة هو أنها خضعت لأوامر وتهديداته فألقت إليه فراخها وذلك كون الهدف قد تحقق بتوظيفه للخداع والمكر والدهاء وكذلك نجد الإفادة الناتجة من إقناع (مالك الحزين) وهو أنه استطاع أن يستدرجه شيئا فشيئا ليضع فى الأخير رأسه تحت جناحه ثم نقض عليه.

كما نلاحظ اعتماد الثعلب على آليات حجاجية قوية ومقنعة لإيقاع مالك الحزين في الفخ ،وذلك باستعمال عدة أساليب لمراوغته وتضليله كمدح الطيور و طرح عدة أسئلة عليه في كيفية وضع رأسه في

حالة الريح، وهذا المدح والاستفهام يعتبران حجاجا مقنعا ساهما في وصول الثعلب لغرضه الرئيس وهو الانتقام من مالك الحزين.

5. خاتمة:

فى الأخير بقي إلى أن نشير إلى شروط الملائمة التي طورها وطبقها "سيرل": على الفعل كلامي فنجد شروط المحتوى القضوي غير محققة، كون اتجاه المطابقة من القول إلى العالم لم يتحقق،وذلك العام تطابق ذلك المحتوى مع الواقع، أما الشرط التمهيدي فنجده قد تحقّق لأن المتكلم استطاع أن ينجز الفعل ،وشرط الإخلاص تحقق من جهة واحدة أي من المخاطب (مالك الحزين) كان مخلصا في آدائه فيقول غير ما يعتقد، والشرط الأساسي قد تحقق بدوره كذلك كون المتكلم اثر في السامع وبالتالي أنجز الفعل وحقق الهدف العام.وبذلك نستنتج أن هذه القصة قد أحاطت بجلّ المظاهر التّداولية من إشاريات مختلفة نسجت السياق العام للقصة وأفعال كلامية متنوعة مباشرة وغير مباشرة ،واستلزامات حوارية ,ومتضمنات قولية وافتراضات مسبقة ومضمرات ،كما اشتملت على جلّ مبادئ وقوانين الخطاب لجرايس وكذلك الحجج مقنعة ،وكل هذا ساهم في الحبكة بفضل الحوار التداولي المثمر لهذه القصة بين الذوات الفاعلة المتمثلة في الحمامة والثعلب ومالك الحزين .

ومن أهم توصيات هذه المداخلة هو ضرورة مسايرة التطور الاللساني والنقدي العالمي مع محاوولة إسقاطه على الراث العربي الأصيل .

ومن الضروري أيضا استثمار المصطلحات والمفاهيم التداولية الموجودة في أمهات الكتب العربية في دروس التفسير والبلاغة والنحو .

5. قائمة المراجع:

–فرانسواز أرمينكو ،1986،المقاربة التداولية ،تر:سعيد علوش ،مركز الإنماء القومي، الرباط،.المغرب

-عمر يلخير، 2003تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،.

-طالب سيد هاشم الطبطبائي ،1994نظرية الأفعال الكلامية،الكويت،.

-حفناوي بعلي، التداولية... 2006البرغماتية الجديدة في خطاب ما بعد الحداثة ،مجلة اللغة والأدب، ع17،،جامعة الجزائر .

-قويدر شنان ،،2006 التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني، مجلة اللغة والأدب،ع17،جامعة الجزائر.

-عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004.استراتيجيات الخطاب ،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط11 ،بيروت، لبنان

-مسعود صحراوي ،2005.التداولية عند العلماء العرب،دار الطليعة ط1،بيروت،لبنان.

- محمود أحمد نحلة ، 2006.آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ،مصر،